رأي الجاحظ في ترجمة الشعر والقرآن

اعداد حيدر ثامر عبدالله ماجستير لغة العربية مديرية تربية بابل

الملخص

قدم الجاحظ مساهمة كبيرة في الترجمة وقسمها إلى ترجمة صحيحة كترجمة النثر، والفلك, والرياضيات وترجمة غير صحيحة كترجمة القرآن ، والشعر .

تناول الجاحظ دراسة ترجمة الكتب الدينية والقرآن ، واعطى رأيه في ذلك، إذ رفض فكرة المترجمين الذين قاموا بترجمة القرآن وذلك لأن وقوعهم بأي خطأ سيغير من مفهوم الشرعي للآيات القرآنية، إما عن ترجمة الشعر فكان رأيه مخالف للمترجمين ايضًا إذ وجد أن للشعر جمال لفظي ، وتعبير لغوي لا يفهمه إلا من كان عالم بالغة الشاعر ، ويعيش الظروف الاجتماعية ذاتها لكِ يصل إلى روح الشعر.

المقدمة

يُعد الجاحظ (776-868)من اشهر الأدباء والمفكرين العرب في العصر العباسي ،وساهم بأثراء العلم في مختلف المجالات مثل الادب، والفكر بما في ذلك الترجمة ، وكانت هناك دراسات عدة تناولت موضوع الترجمة عند الجاحظ لكن هناك العديد من الحقائق لم تسلط الضوء عليها فعالج هذا البحث بعض الآراء الجاحظ في ترجمة الشعر والآداب, والقرآن، وماهي أهم الشروط التي وضعها الجاحظ للترجمان.

اسمه

هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي المعروف بالجاحظ

[1]،كان واسع المعرفة له مؤلفات في كل فن ، وإليه تنتسب الفرقة المعروفة بالجاحظية [2] من المعتزلة[3]،وعده بهاء الدين العاملي من مشاهير المعتزلة[4].

حياته

ولد الجاحظ ذو عينين كبيرتين وكانت عيناه سبب في اكتسابه لقب الجاحظ ؛لأن عينيه كانتا جاحظتين[5]، ولد الجاحظ في بيت متواضع من أبوين فقيرين ، توفي أبوه وهو طفل، فربته أمّه، ولقلة الوارد الذي كان يدخل للمنزل دفعه للعمل في بيع السمك ،والخبز على ضفاف نهر سيحان في البصرة[6].

وأن سوء حالتهم المادية لم تمنعه من الدراسة والتضلع في العلوم، فصار يختلف الى بعض الكتاتيب، وحلقات المساجد في البصرة، واكتسب الجاحظ علما وثقافة ومعرفة للتردده على سوق قرب البصرة يسمى بـ المربد[7] ، وهو ميدان التنافس بين الخطباء والشعراء[8] ، ويذكره الذهبي [9]انه داهية في قوة الحفظ لم يترك كتاب يقع بيدهِ قَطُّ إلا اكمل قرائته, حَتى إنهُ كان يستأجر دَكَاكِيْنَ الوارقين ويبيت فيها للمطالعة [10].

درس على يد النظام وهو من المعتزلة ، وتتلمذ كذلك على يد :أَبِي يُوْسُفَ القَاضِي، وثُمَامَةَ بنِ أَشْرَسَ، ومن تلاميذه: أَبُو العَيْنَاءِ، وَيَمُوْتُ بنُ المُزَرَّعِ -ابْنُ أُخْتِهِ، وغيرهم[11] .

وأن جحوظ عينيه سبب له مشكله في عمله، فلم يستطع الحصول على أي عمل يريد ، إذ يذكر أن الخليفة المتوكل طلبه لتدريس ولده ، وعندما طلب مقابلته ورأى منظره استبشع شكله فأمر له بعشرة آلاف درهم وصرفه عن تعليم ابنه [12].

مؤلفاته

عرف الجاحظ بثقافته وعلمه إذ تمكن من تأليف العديد من الكتب بمختلف المجالات العلمية[13] منها مثل كتاب " الحيوان "ويذكر فيه العديد من الحيوانات وفائدتها و مضارها للإنسان، وما قيل فيها من امثال وغير ذلك [14]، ومن كتبه ايضا كتاب " البيان والتبين " ويوضح فيه عيوب البيان ، و حروف اللثغة، الفأفأة والتمتمة، أثر الأسنان في البيان، ودرس البلاغة ومفهومها عند اهل اليمن والهند والعرب ،ونقد الشعر والشعراء، وغيرها من المواضيع[15] ،وكذلك كتاب "البخلاء" الذي سلط الضوء فيه على طبقة البخلاء التي ظهرت في العصر العباسي وفي المجتمع العراقي الذي عرف بالكرم ، وتغلغل أيضا بين طوايا النفس البشرية، وتفهّم نزعاتها، وحلّل أعمالها، ودرس نفسياتها، و اتّبع الجاحظ أسلوبا قصصيا إخباريا يربط الأخبار بعضها ببعض [16] وغيرها من الكتب .

وفاة الجاحظ

توفي الجاحظ في المحرم سنة خمس وخمسين ومائتين بالبصرة، وهو بعمر زاد على تسعين سنة[17]، وكان سبب الوفاة حسب ما ذكرته المصادر اصابته بمرض الفالج [18]،وكثيرا ما يذكر هذا المرض في المصادر والروايات الاسلامية ، ومرض الفالج كما يوضحه ابن منظور[19] هو "داءٌ مَعْرُوفٌ يُرَخِّي بعضَ الْبَدَنِ" وتعني كلمة الفالج القسمه بنصفين [20] ويعرف هذا المرض في وقنا الحاضر باسم شلل نصفي أو سكتة دماغية[21].

رأي الجاحظ في الترجمة

اهتم خالد بن يزيد [22]بالترجمة في عهد الدولة الاموية (41-132هـ) فكانت حركة الترجمة في مرحلة النشوء ، وفي عهد الدولة العباسية (132- 656هـ) ازدهرت هذه الحركة ؛ نضرا لانفتاح الدولة الاسلامية نتيجة حركات الفتوح التي قام بها خلفاء الدولة العباسية ،وفرض سيطرتهم على كثير من بلدان المشرق والمغرب ، مما ساعد على انفتاح المسلمين على باقي البلدان ،وفهم عادات تلك البلدان والاطلاع على مختلف العلوم التي توصلوا اليها مما ساعد على تطور حركة الترجمة[23] ، وساعد الخليفة المأمون[24] في انتعاش حركة الترجمة، حتى انه استحوذ على كُتُبَ الفلاسفة ،واليونان من جزيرة قُبْرُ ونقلها إلى دمشق[25]،

و كاتب المأمون ملوك الروم وسألهم ما لديهم من كتب فلسفية فبعثوا اليه كتب افلاطون وارسطو وجالينوس , واحضر لهم مهرة المترجمين فترجموها له[26] .

وفي طبيعة الحال ان العرب شعروا بعد الفتح الاسلامي الكبير شرقاً ،وغرباً بحاجتهم الماسة الى اقتباس العلوم والآداب والتعرف الى فكر وعلوم الحضارات السابقة ليستفيدوا من علومهم الفلكية لمعرفة مواقيت الصلاة وبداية الاشهر القمرية للصوم والحج, فاهتموا بنقل كتب الفلك والرياضيات , وكذلك اهتموا بنقل كتب الطب لعلاج ابدانهم[27] .

وكان للجاحظ رأي في الترجمة فليس جميع الكتب يمكن إن تترجم ، وتعطي المفهوم الدقيق لها ، والفائدة الفعلية، ومثال ذلك كتب الشعر إذ رفض الجاحظ ترجمة الشعر ب :[28]() ومن خلال النص يتبيّن رأي الجاحظ ، بأن الشعر ذات ارتباط ثقافي وعقائدي خاص بالعرب، ولا يفهمه غير العرب فالتغني بالبطولات ،والتباهي ببعض الصفات العربية التي قد تكون غير مهمه ،وليست بالمرتبة ذاتها عند غير العرب، وشاهد ذلك صفة الكرم فطالما وجدنا هذه الصفة في اشعار العرب ،التي تُعد بالمرتبة الأولى للصفات الرجال ، فيذكر ان حاتم الطائي كان يطلب من غلامه يسار، إذا اشتدّ البرد في الشتاء إن يوقد نارا في مكان مرتفع من الأرض ؛لينظر إليها من أضلّ الطريق ليلا ،وليهتدي إليه الضيوف ، فإشعال النار يدل على ان في هذا المكان وليمة ومن يراها يأتي إلى ذلك المكان[29] ، ولشدة رغبته في اكرام الضيف واستقباله اعطى وعد لغلامه بأن يكون حرا اذا نجح في جلب الضيوف، [30]:

إما القصائد الإنجليزية القديمة قد حاولت التركيز على تمجيد الأبطال ،ومحاولة تعليم صفات مثل الشجاعة والكرم، ومعظمها لشعراء مجهولين [31]ويبدو إن هذه الصفات لم تكن اهميتها بنفس قدرها عند العرب.

وكذلك طبيعة المجتمع الاجنبي تختلف عن المجتمع العربي، وطريقة العيش ايضا ومثال ذلك طريقة النقل فاشتهر العرب بحبه وتقديره لأهمية البعير وذلك لاستخدامها في الصحراء للنقل ، وللتجارة واكل لحمها ،وهناك امثال واشعار تضرب لكبر حجمها ، فيروى أن كثير عزّة دخل عَلَى عبد الملك بْن مروان، ويبدو ان كثير كان قصير القامة ونحيل الجسم فلما قابله عَبْد الملك بن مروان سأله متعجبا : أأنت كثير عزة؟ ب: نعم، ب: أن تسمع بالمعيدى خير من أن تراه: يا أمير المؤمنين، كل عند محله رحب الفناء، شامخ البناء، عالى السناء[32]، [33]:

وتعني أن الجمل يكون حجمه ضخماً جداً وكذلك الفيل، فلم يستغن بالعظم البعير يعني: هل نفعه أن جسمه ضخم؟ وأن منظره ضخم؟ فماذا يحصل له؟ب: يصرفه الصبي بكل ارض يعني: الطفل الصغير يتحكم فيه؛لأنه إنسان عنده عقل يتحكم بهذا الجسم الضخم ويسخره،وقوله: هذا هو الذي يفتخر به الرجال الكرام ليس بالهيئة وبالعضلات ،وبالمظاهر لكن بالكرم وبالخير والخصال الجميلة[34].

اما الانكليز كانت الأشكال الأولى للنقل البري هي الخيول والثيران[35] ، وعند ترجمه الشعر العربي لم يجد القارئ الانكليزي الصدى والتأثير ذاته لدى العربي بقول الجاحظ[36] : ()

ويكمل الجاحظ أن الشعر لا يجوز ترجمته لكن النثر يستطاع ان يترجم ب[37]: ()يبدو أن الجاحظ يقصد أن روح الشعر المكتوبة تذهب عند ترجمتها ، وابداع الشاعر وهواه قد يتغير اي ان الصورة الشعرية للكل شاعر تختلف بطريقة اسلوبه ومعاني التي يختارها، والحياة التي عاشها ،واثرت به تختلف من شاعر لآخر بنفس البلد ،ونفس اللغة ، فكيفما اذا كان الشعر مترجم لغير لغة ويحاكي بلد آخر في مجتمع مغاير، وهناك عائق هو غياب المقابل اللغوي فليس كل كلمة تُترجم تعطي نفس جمالها في الشعر إذن لا سبيل إلى ترجمة الشعر لاستحالة بلوغ الهدف الذي تسعى إليه الترجمة وهو مطابقة النص الظاهر ومعناه الحقيقي.

إما النثر فيرى الجاحظ جواز ترجمته ب[38]) لأن انواع النثر كثيرة من قصة ، ورواية ، ومسرحية[39] ,وكلها قابله للترجمة أذ تختلف عن الشعر الذي يضم في ابياته نضم ووزن واذا ترجم لا يعكس عواطف الشاعر ووجدانه .

رأي الجاحظ في ترجمة القران

يؤكد الجاحظ على الاخطاء التي وقع بها المترجمين بعد أن ترجموا القرآن الكريم ، إذ أن ترجمة القرآن الكريم تختلف عن باقي المجالات من المعرفة مثل الهندسة والفلك وغيرها من العلوم ويعلل ذلك بأن القرآن لا يحتمل الخطأ فيه من قبل المترجم فكل كلمة فيه لها مدلولها الخاص بها التي قد تتغير أذ ترجمة إلى لغة الاخرى وان المترجم مهما كان عالما بكتب التفسير فأن حتى كتب التفسير تختلف من شخص إلى اخر فكيف يتم ترجمتها إذ كانت في الاصل مختلفة ، ب الجاحظ [40]:()

كما يوضح الجاحظ سبب آخر لرفض ترجمة القرآن باستشهاده ب اي أن اليهود ن طريق وعلى رغم من معرفتهم بالله كتاب التوراة ، وان المسيح ولهم كتاب الانجيل حاولوا تحريف كتبهم وبوا أن الله عز وجل (حاشاه) لديه ولد ، فكيف إذ ترجمة القرآن لدى شعوب لا تؤمن بالديانات السماوية فيقول الجاحظ في ذلك[41] :(

وبتالي فأن قلة المعرفة باللغة وما تخفيه من معاني عدة ، والتي لا يعلمها إلا اصحاب اللغة وبتالي فمن يقوم بترجمة القرآن لابد له أن يخطأ ، وان الخطأ في القرآن غير مقبول لأن أي تغير في المعنى يغير معه حكم اسلامي وبتالي يعطي حكم مغاير لما انزله الله عز وجل ، فالعرب عندما انزل الله عز وجل القرآن بالغتهم ، كانوا لديهم المعرفة بهذه اللغة وعلى رغم من ذلك خرجت لدينا الكثير من التفسيرات المختلفة لها لكن هذه التفسيرات لا تغير الحكم لشرعي لمعرفتهم بما يجوز قوله وبما ليجوز فمن غير الممكن يفسر المفسرون آيات القرآن ويجعلون لله ولد (حاشاه) كما فعل اليهود والمسيح وشاهد ذلك قول الجاحظ[42]: (تهم بالعبرانية، لوجدوا لذلك الكلام تأويلاً حسناً، ومخرجاً سهلاً، ووجهاً قريباً.)

شرائط[43] الترجمان[44]

بدأت حركة الترجمة في الظهور في عهد الدولة الأموية(41 - 132 هـ)، ثم تطورت في عهد الدولة العباسية (132- 656هـ) كما بينا سابقًا، حتى الفت كتب بالترجمة تحمل عنوان الترجمان مثل كتاب المفجع الذي ذكره الزبيدي ب[45]:()

وقد وضع الجاحظ شروط للترجمة في مجالات متعددة مثل: الهندسة، والتنجيم، والحساب، إذ ب[46]: (أي ينبغي للمترجم أن يتمتع بالقدرة على فهم اللغة وايضاح معانيها ، وعالم بأسرارها بنفس لغة المترجم ، وأن يكون قادرًا على فهم مقاصد ،وغايات المترجم إليه .

ويرى الجاحظ ضرورة أن يكون المترجم عارف ومتقن جيد للغته وإلى اللغة الاخرى التي يترجمها ويعلل ذلك بأن اللغات تتداخل فيما بينها لدى المترجم وتوقع المترجم بأخطاء فعليه أن يكون عالما باللغة وفي المجال ،والاختصاص ،أو العلم الذي يترجمه كعلمه بلغته الام فب في ذلك [47]:

الخاتمة

1- وجدنا صعوبة ترجمة الشعر إلى لغات اخرى بأسباب عدة حيث لا يمكن أن يكون الترجمان بمستوى الشاعر من حيث مقاصدهُ ومعانيه ، والصورة الشعرية ، وعواطفه ، حيث يستحيل ترجمة هذه الافكار والتصورات .
2- اهتمام العرب بالترجمة لتلاقح افكارهم العامة دينية، ادبية، علمية مع الاقوام الاخرى.
3- لاحظنا ابتعاد الجاحظ بترجمة الكتب الدينية ؛لأنه برأي الجاحظ أن البشر قد يعجز عن ترجمة كلام بعضهم البعض ، فما بالنا بترجمة كتب الدين
4- أن اختلاف ثقافات الشعوب ولغتهم تمنع ترجمة الشعر وذلك لأن جمال اللغة يضيع وحسنها وسجعها ,وكذلك الغرض من الشعر والمقصد يختلف من منطقة لأخرى باختلافهم تركيبهم الاجتماعي والظروف السياسية .
5- يرى الجاحظ ضرورة أن يتمتع المترجم بالقدرة والمعرفة في العلوم التي يترجمها ، فإذا ترجم علوم الحساب فعليه ان يكون عالما بهذا المجال لضمان الترجمة الصحيحة والدقيقة.

6- وضع الجاحظ بعض الشروط التي يجب على المترجم أن يتحلى بها منها: أن يكون المترجم ذات معرفة جيدة بالعلم الذي يتم الترجمة له، وأن يكون متقن جيد إلى اللغة التي يترجمها إلى جانب لغته الام .